

وجلس ﷺ عن يمين أبي بكر، فصلّى قاعداً، حتى إذا قُضيت الصلاة أُقبل المسلمون على نبيهم المصطفى فرحين مستبشرين، يهللون ويدعون ويباركون. لم يدروا أنها صحوة الموت!

دخل المصطفى ﷺ بيته والوقت ضحى، فاضطجع على فراشه في حجر زوجته عائشة، - التي اختار بيتهَا لِيُمرَّضَ فيه - فما راعها إلا أن تُقل في حجرها، ونظرت في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة»^(١)

من بيت المصطفى ﷺ علا نحيبُ النساء فصك مسمع المدينة التي كانت قد استبشرت برؤية الرسول ﷺ في صلاة الصبح من ذلك اليوم!

وفي ذهول المباغتة، وجم الناس بين مصدق ومكذب، وكان «عمر بن الخطاب» أسد مَنْ أنكروا أن يكون محمد ﷺ قد مات!

وجاء أبو بكر، وعمرُ في المسجد يتواعد من يزعم أن رسول الله ﷺ قد مات، قال: عفا الله عنه:

«إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفى! وإن رسول الله ﷺ وألله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجالٍ وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات!».

تركه أبو بكر لم يكلمه، ومضى لا يلتفت إلى شيء حتى دخل على المصطفى ﷺ في بيت ابنته عائشة، فإذا هو مسجى هناك، فأقبل عليه محزوناً حتى كشف عن وجهه فقبّله، وقال: «بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك، فقد دُفنتها، نم لن تصيبك بعدها موتة أبداً».

ثم ردّ البردَ على الوجه الحبيب.

(١) السيرة : ٣٠٤/٤.